نقش قارة الأصم

مشعل عبد الله آل قراد

باحث في آثار نجران وتاريخها القديم–جامعة نجران– كلية اللغات والترجمة، المملكة العربية السعودية

ms.020@hotmail.com

ملخص البحث:

تتناول هذه الدراسة نقش إسلامي مبكر اكتشفه الباحث ضمن جولاته التنزهية في المنطقة الواقعة شمال شرق آبار حمى الأثرية يعود تاريخه إلى القرن الثالث الهجري تقريباً. وتكمن أهمية الدراسة أولاً في كونها تتمحور حول نقش جديد لم ينشر من قبل وفريد من نوعه من حيث صياغة الجملة حيث بدأت باسم إشارة للتأكيد على هوية المكان. ثانياً النقش يحدد بشكل صريح ودقيق معلم جغرافي في منطقة نجران وهو جبل (قارة الأصم) الذي يفترض الباحث أنه الأصل الذي انبثق منه مسمى منطقة (القارة) الشهيرة في نجران. وهي منطقة جبلية تقع غرب جبال الكوكب وشمال آبار حمى ولا أحد من الأهالي والباحثين والجهات الرسمية يعرف موقعها على وجه التحديد. إنما يطلقون اسم القارة على سلاسل جبلية متناثرة في منطقة واسعة، وقد تكرر اسمها كثيراً في البحوث العلمية التي تدرس النقوش والرسومات الصخرية والعوامل البيئية والمناخية والجيولوجية في تلك المنطقة. تخلص هذه الدراسة إلى ربط أسم (القارة) بالجبل الذي وجد فيه النقش وإعادته إلى نصابه الجغرافي واللغوي الصحيح.

الكلمات الدالة:

نقش، قارة الأصم، آبار، حمى، نجران.

Inscription of Qarat al-Asamm

Abstract:

This study deals with an early Islamic inscription discovered by the researcher during his hiking tours in the area located northeast of the archaeological wells of Hima, dating back to approximately the third century AH. The importance of the study lies first in the fact that it revolves around a new inscription that has not been published before and is unique in terms of the wording of the sentence, as it begins with a demonstrative pronoun to emphasize the identity of the place, which is very rare in inscriptions. Second, the inscription explicitly and accurately identifies a geographical landmark in the Najran region, namely Mount (Qarat al-Asamm), which is likely the origin from which the name of the famous region (Qara) emerged. It is a mountainous region located west of the Kawkab Mountains and north of the wells of Hima, and none of the locals, researchers, or official bodies know its exact location. Rather, they call the name of the continent the mountain ranges scattered over a wide area, and its name has been repeated many times in scientific research that studies inscriptions and rock drawings, and the environmental, climatic, and geological factors in that region. This study concludes by linking the name (Qara) to the mountain in which the inscription was found and returning it to its correct geographical and linguistic context.

Keywords:

Inscription - Hima- Najran- Qarat al-Asamm- Wells.

المقدمة

تعتبر النقوش من أهم مصادر المعرفة كما أنها تقوّم الانحرافات الواردة في كتب التاريخ وخرائط الجغرافيا ومن ذلك أسماء الأماكن. ولا شك أن الأسماء الصحيحة للمدن والوديان والجبال لها أهمية كبيرة لأنه في الغالب يترتب عليها حدود تفصل بين القبائل والدول، وترتبط بها قصص وأحداث تاريخية لن يدلنا عليها سوى الاسم الصحيح الذي هو عنوان الواقعة التاريخية ومفتاح مبهماتها.

(حمى، القارة، الكوكب) هذا المثلث يضم بين أضلاعه آلاف النقوش والرسومات الصخرية ومنها أربعة نقوش للملك الحميري يوسف أسأر (ذو نواس) الذي أحرق المسيحيين في نجران، ثلاثة منها تم نشرها أما الرابع فلم ينشر حتى تاريخ كتابة هذه المقالة. وقد عثر الباحث على هذا النقش الرابع في أحد جولاته وعلم فيما بعد أنه سبق اكتشافه من قبل فريق التنقيب السعودي الفرنسي وما زال قيد الدراسة لديهم. وكذلك يوجد نقوش ملوك آخرين منهم أبرهة الحبشي، وحجر الكندي وغيرهم. وهذه الأسماء الثلاثة (حمى، الكوكب، القارة) لا تختص بثلاثة جبال بعينها وإنما تطلق مجازاً وعرفاً بين الأهالي والباحثين على جبال عديدة تتناثر في مساحة واسعة جداً شمال منطقة نجران تبعد عن مركز المدينة أكثر من 100كم. انظر الشكل (أ)، وتعتبر حمى أشهر هذه المواقع حيث تعاظمت قيمتها الحضارية بعد ضمها للتراث العالمي (اليونيسكو) عام 2021م. فأصبحت بذلك مقصداً لفرق البحث العلمي التي وجدت فيها ضالتها لما تحتويه من النقوش والرسومات الصخرية التي تختزن الكثير من المعلومات حول الاستيطان البشري، والتطورات اللغوية والدينية، والتغيرات المناخية والجيولوجية، والطرق التجارية في العالم القديم، وأنماط حياة الإنسان عبر الأزمان، وأنواع الحيوانات في العصور المطيرة وما تلا ذلك من انقراض لكثير من تلك الأنواع. وغير ذلك من المعلومات المتعلقة بالعديد من مجالات المعرفة. وأهمية المكان تنبع من أهمية مخزونه الأثري والنقشي الذي يعتبر من أوثق وأصدق المصادر التاريخية. وبحسب ما ورد في سجلات هيئة التراث بالسعودية: "فإن منطقة الفن الصخري الثقافي في حمى تمتد على مساحة 557 كم مربع وتحوي مئات الآلاف من النقوش والرسومات الصخرية وتعد واحدة من أكبر مجمعات الفن الصخري في العالم. وتقع عند نقطة مهمة في طرق القوافل القديمة..ويعتقد أنها كانت إحدى الأسواق الرئيسية في شبه الجزيرة العربية".[1]

ورد اسم حمى والكوكب في بعض النقوش المسندية الموجودة في مثلث حمى القارة الكوكب ومنها هذا النقش المسندي التاريخي الهام الذي جمع الاسمين معاً:

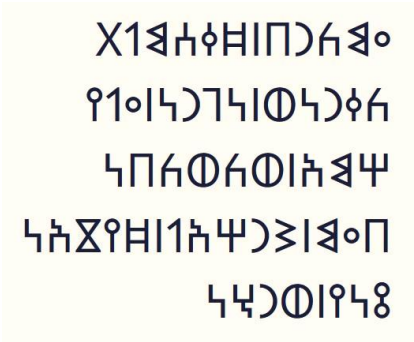

انظر الشكل (ب)

نقش تذكاري لـ عمر كرب ذو قاسم اللات أثناء حصارهم لنجران ومرابطتهم في حمى والكوكب مع سيده شرح إيل اليزني قائد جيش الملك الحميري يوسف أسأر وكان ذلك في ثاني الشهر. كذلك ورد اسم حمى والكوكب في كتب التراث العربي ومن ذلك قول الهمداني: " فإذا تيامنت شربت ماءً عادياً يسمى قرية...ثم ترد ثجر...ثم حمى...".[2] وقال ذاكراً الموقعين: " الكوكب ماء أسفل من حمى بحبل منقطع بالغائط دون العارض".[3] وقال أيضاً: فأما مراحل نجران إلى العقيق فأولها الكوكب".[4]

أما جبل القارة الذي في نجران –فحسب علم الباحث– أنه لم يرد ذكره سوى في مصادر حديثة لا يتجاوز أقدمها مائة وخمسين سنة وفيما يلي بعض تلك المصادر مرتبة حسب الأقدمية:

المصدر الأول كتاب السفينة للعطاس: "وأما ما أملاه علينا بعض البادية في ضبط المسافة ما بين نجران ومكة من طريق الدواسر و(بثينة) فإنه قال: إذا سرح من نجران فإنه يمسي بالحصينية، ويسرح من الحصينية ويمسي بحمى، ويسرح من حمى ويبرّد بالقارة، ويروّح من القارة ويمسي بسنح..". [5]

المصدر الثاني كتاب مينوزا: نشر المصور الفرنسي تشيكوف مينوزا صور لبعض النقوش والرسومات الصخرية في كتابه (نجران) ذكر أنها من صحراء القارة.[6]

المصدر الثالث كتاب الشريف: "يُصرّف سيول هضبة نجران واديا: نجران وحبونا وروافدهما، ومن أهم مرتفعاتها جبال: القارة، والعلمان، والكوكب، والقهرة".[7]

المصدر الرابع كتاب محمد الحاج: "هناك جبال تقع في أماكن متفرقة من نجران من أبرزها جبال الكوكب، وجبال القارة وتقع إلى الشمال الغربي من وادي نجران".[8]

المصدر الخامس مجلة أطلال: تكرر اسم جبل القارة كثيراً في تقارير المسح الأثري للفريق السعودي الفرنسي ومن ذلك التقرير المدون في حولية أطلال.[9]

المصدر السادس كتاب غيثان جريس: "وجبال القارة وجبال الكوكب وعان الجمل وعان ذباح الواقعة شمال شرق نجران".[10]

إضافة إلى بعض ما ورد في كثير من الدراسات الرسمية. انظر الشكل (ج). وفي الكثير من الدراسات العلمية انظر الشكل (د).

لكن مفردة (قارة) وردت في بعض النقوش الثمودية ومنها النقش رقم (٤٠) الوارد في كتاب (الحياة الاجتماعية قبل الميلاد في ضوء النقوش الثمودية في منطقة حائل) للدكتور سليمان الذييب: (أ ق ب ر ت ح م ع ل ق ر ت) وقد قرأها الذييب: "قبور (آل) تحم فوق القرارة (المرتفع)".[11] ويختلف الباحث مع قراءة الدكتور الذييب لكلمة (ق ر ت) فهي قارة وليست قرارة. كذلك يرى الباحث أن كلمة (المرتفع) التي عرف بها الدكتور مفردة (قرت) ليس تعريفاً دقيقاً لأن المرتفعات تتنوع بين تلال وكثبان وجبال ...بينما المقصود هو المرتفع الصخري (القارة كذلك وردت مفردة (ق ر ت) في النقوش اللحيانية ومنها النقش رقم (٢٩٥) والنقش رقم (٣٠٠) الواردان في كتاب (نقوش لحيانية من منطقة العلا دراسة تحليلية مقارنة) للدكتور حسين علي أبو الحسن وهذا نص أحد النقشين: (ش ر ف و ب هـ ق ر ت) وقد قرأها الدكتور: شَرّفوا بهذه القارة أي صعدوا هذا الجبل وعرف القارة بأنها أصاغر الجبال وأعاظم الآكام.[12]

ذكر الهمداني عدة قارات (جمع قارة) منها قارة الأشبا، وقارة بَلْعَنْبَر التي وصفها قائلاً: "هي مجهلة والقارة أكمة جبل منقطع في رأسه بئر على مئة بوع وحواليها الضياع والنخيل".[13]

وهناك قارات أو قور كثيرة في جنوب جزيرة العرب ومنها: قارة حضرموت، قارة آنس، قارة حضور، قارة جبل عيال يزيد، قارة جبل ضاعن حجور، قارة مسور المنتاب، قارة مخلاف شبام كوكبان، قارة بني العصري في حجة، قارة بسرو يافع.[14] كذلك يوجد قارة المحضار.[15]

النقش موضوع الدراسة

بتوفيق من الله تعالى اكتشف الباحث نقش إسلامي جديد يتضمن اسم القارة صراحة (قارة الأصم). وهو من النقوش النادرة التي تخبرنا باسم موقع جغرافي مستخدمةً اسم الإشارة في صياغة الجملة ما يجعل المعلومة مؤكدة بدرجة كبيرة).

القراءة

هذه قرة الأصم.

حروف النقش غير منقوطة، والحروف اللينة لا تكتب في النقوش الإسلامية المبكرة؛ وبالتالي فمن المحتمل أن يكون للنقش قراءات أخرى مختلفة لكن الباحث يرجح هذه القراءة الأولية. انظر الشكل (هـ)

المعنى : هذا الجبل اسمه قارة الأصم.

تحليل النص

النص منقوش بالخط الكوفي البسيط الغائر في واجهة صخرية شبه مربعة توجد في قاعدة الجبل من الجهة الجنوبية الشرقية. وهو عبارة عن جملة خبرية قصيرة تتكون من ثلاث كلمات فقط. انظر الشكل (و)

هذه: اسم إشارة مؤنث.

قارة: قال اللحياني: القارة هي الجبيل الصغير المنقطع عن الجبال. والقارة: الصخرة السوداء، وقيل: هي الصخرة العظيمة، وهي أصغر من الجبل، وقيل: هي الجبيل الصغير الأسود المنفرد شبه الأكمة.

ابن شميل: القارة جبيل مستدق ملموم طويل في السماء لا يقود في الأرض كأنه جثوة، وهو عظيم مستدير.

وقال الليث: القور جمع القارة والقيران جمع القارة، وهي الأصاغر من الجبال والأعاظم من الآكام، وهي متفرقة خشنة كثيرة الحجارة.[16]

الأصَمُّ: رجل أصم لا يطمع فيه ولا يُرد عن هواه كأنه يُنادى فلا يَسمع. ورجب الأصم لعدم سماع السلاح فيه. ومن معانيه كذلك الصُلْب المُصْمَت. ومن ذلك قول العرب: "صَخْرٌ أَصَمّ".[17]

وجدير بالذكر أن الأهالي يطلقون اسم (الصّمّاء) على جبل من جبال القارة شمال حمى.

بعد استعراض معنى القارة في معاجم اللغة العربية يتضح أنها تنطبق على هذا الجبل الموجود فيه النقش موضوع الدراسة. فهو أسود منقطع عن الجبال، ويرى الباحث أن هذا هو سبب تسميته بالقارة. بينما منطقة القارة الشهيرة المعروفة في نجران هي عبارة عن سلاسل جبلية تتصل في أماكن وتنفصل في أماكن أخرى وتتخللها وديان صغيرة وشعاب ولا ينطبق عليها المعنى اللغوي لمسمى (قارة). وسمي بالأصم ربما نسبة إلى رجل اسمه الأصم وهذا الاسم معروف عند العرب يوصف به من لديه إعاقة سمعية ثم تحول إلى اسم كغيره من الصفات الكثيرة التي تحولت إلى أسماء. ولو لاحظنا القور التي ذكرها البلدانيون لوجدنا معظمها سميت على أسماء رجال أو قبائل. ومن المحتمل أيضاً أن كلمة الأصم في النقش يقصد بها الجبل الصلد وصخوره الصّمّاء. انظر الأشكال (ز، ح). لكن السؤال المحير: لماذا يوثق صاحب النقش اسم جبل يفترض أنه معروف عند الجميع في ذلك الزمان؟!.

حقيقة إنه الصعب الإجابة على السؤال لأن النقش قصير ولا يفصح عن دوافع الناقش. لكن الإجابة البديهية التي تخطر على ذهن القارئ هي أنه يؤكد على ملكية المكان لشخص اسمه الأصم؛ أيضاً صاحب النقش يُعرّف بالموقع للقوافل العابرة التي ربما أناخت رحالها فيه بصفته محطة على طريقها. ولكن لكي يصبح محطة للقوافل يشار لها بالبنان وينقش اسمها للركبان مثل كوكب وحمى فإنه يلزم وجود الماء فيه؛ فهل يوجد في قارة الأصم ماء قديم؟.

لو رجعنا إلى كلام الهمداني عند وصفه قارة بني العنبر: "القارة أكمة جبل منقطع في رأسه بئر على مئة بوع وحواليها الضياع والنخيل". لزادت دهشتنا لأنه يوجد في واجهة الجبل الشمالية الغربية رسمة تظهر فيها بئر ذات سواني تجرها الإبل وتسقي النخيل. وهذا يثير التساؤل: هل هناك ارتباط جيولوجي بين القارات والمياه؟ انظر الأشكال (ط، ي). ومن الإشارات المعززة لوجود الماء أن الجبل يقع في منطقة منخفضة عن السطح العام لأرض تلك المنطقة. انظر الشكل (ك). كذلك لاحظ الباحث وجود أسراب من الحَمَام البرّي في الجبل وعادةً لا يتواجد الحمام إلا في المواقع التي يوجد فيها آبار أو سدود أو تجاويف وأحواض صخرية تختزن مياه الأمطار لفترات طويلة. انظر الشكل (ل). هذه الرسمة مثيرة حقاً وتحفزنا على البحث عن بئر قديمة قد تكون في قاع الجبل أو في رأسه كما هو الحال في القارة التي ذكرها الهمداني.

تاريخ النقش

بالنظر إلى شكل حروف النقش نلاحظ أن سماته الخطية تطابق النمط الذي كان سائداً في القرون الإسلامية الأولى خاصة القرن الثالث الهجري، ومن ذلك شكل حرف الهاء في بداية الكلمة الأولى الذي يتخذ الشكل البيضاوي مقسوماً بخط أفقي مستقيم في وسطه، وإهمال ألف المد الذي بعد الهاء، حرف الذال يشبه حرف الكاف في عصرنا الحاضر وهو عبارة عن مستقيم سفلي على السطر امتداد لخط الهاء وآخر يوازيه من الأعلى ويلتقي معه في الجهة اليمنى بخط مقوس، في حين ينتهي المستقيم العلوي بذيل قصير في طرفة الأيسر. أما شكل الهاء المربوطة في آخر الكلمة الأولى فتبدأ بخط مستقيم من أعلى ينحني في الأسفل إلى اليسار متخذاً شكل القوس ثم يتقاطع مع المستقيم في نصفه تاركاً سنة زائدة في أعلاه.

حرف القاف في بداية الكلمة الثانية مرسوم بشكل شبه مثلث بدون مد لنهايته التي ربطها بحرف الراء الذي اتخذ شكل قوس قصير. والحرف الأخير هي التاء المربوطة التي تشبه الهاء المربوطة في نهاية الكلمة الأولى. الكلمة الأخيرة بدأت بحرف الألف الذي اتخذ شكل العمود المنتصب على السطر، يتلوه حرفا لام ألف المدمجان في شكل واحد. ثم يأتي حرف الصاد الذي يشبه هيكله حرف الذال ولكنه مقفل بخط قصير يربط بين طرفيه وفيه سنة قصيرة جداً لا تكاد تلحظ. أخيراً تنتهي الكلمة الثالثة بحرف ميم مرسوم على شكل دائرة يمتد منها خط قصير.

موقع النقش

يبعد جبل النقش عن آبار حمى حوالي ٢٣ كم جهة الشمال الشرقي ويعتبر امتداد طبيعي لما يسمى اليوم بـ (جبال القارة)، لكنه منفصل عنها ومتفرد بلونه الأسود الغامق. انظر الشكل (أ).

نتيجة الدراسة

يرى الباحث أن جبل النقش (موضوع الدراسة) هو جبل القارة الذي يردد اسمه الأهالي والباحثون دون أن يعرفوا مكانه على وجه الدقة. ولذلك أطلقوا اسم القارة على السلاسل الجبلية المجاورة لجبال الكوكب. والتي لا يفصلها عن قارة الأصم سوى بضع كيلومترات. فمن المحتمل أنه مع مرور الزمن وجفاف النقوش واندثار القوافل اتسع الاسم ليشمل مساحة جبلية أكبر وهي التي نعرفها اليوم باسم القارة شمال حمى ومن بين تلك الجبال الجبل المسمى (الصماء). لذا يفترض الباحث أن هذا الجبل المسمى في النقش (قارة الأصم) هو الأصل الذي انبثق منه الاسم الدارج المتداول اليوم بين الأهالي وفي صفحات الدراسات العلمية. حيث ترسخ في ذاكرة المجتمع المحلي عبر الأجيال ومنها انتقل إلى أروقة الجامعات. ومن هنا تكمن أهمية هذا النقش الجديد.

توصيات

يقترح الباحث على الجهات المعنية تسوير الجبل ونصب لوحة تعرف باسمه والتنقيب فيه عن آثار بئر قديمه ربما توجد هناك. ويأمل إعادة تسميه المناطق الجبلية وفقاً لنتائج هذه الدراسة، بحيث يصبح اسم هذا الجبل هو (قارة الأصم). أما ما كانت تسمى في السابق بالقارة فيرى الباحث أنها امتداد طبيعي لجبال الكوكب التي لا يفصل بينها سوى (نجد سهي)؛ لحيث أن وصف القارة كما ورد في معاجم اللغة العربية وكتب البلدانيين لا ينطبق عليها.

اللوحات

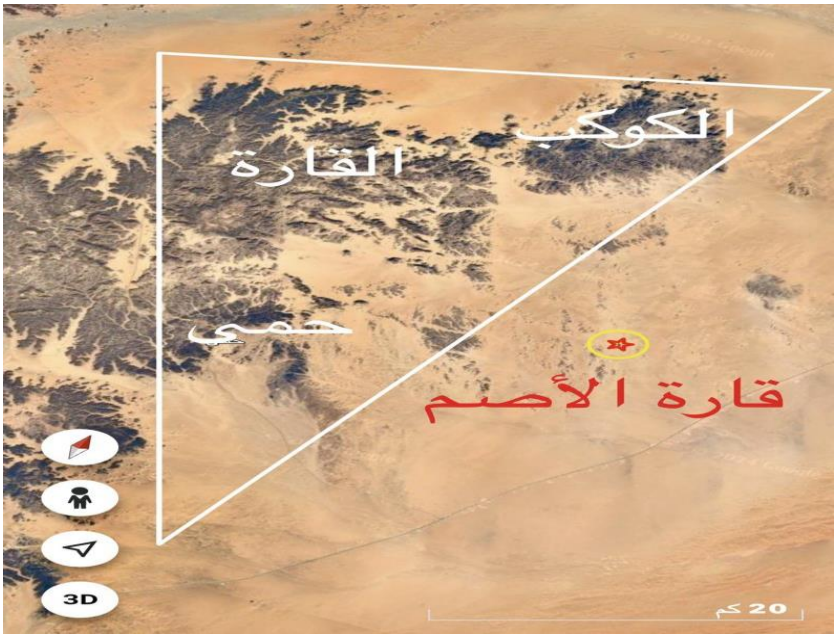

الشكل: أ

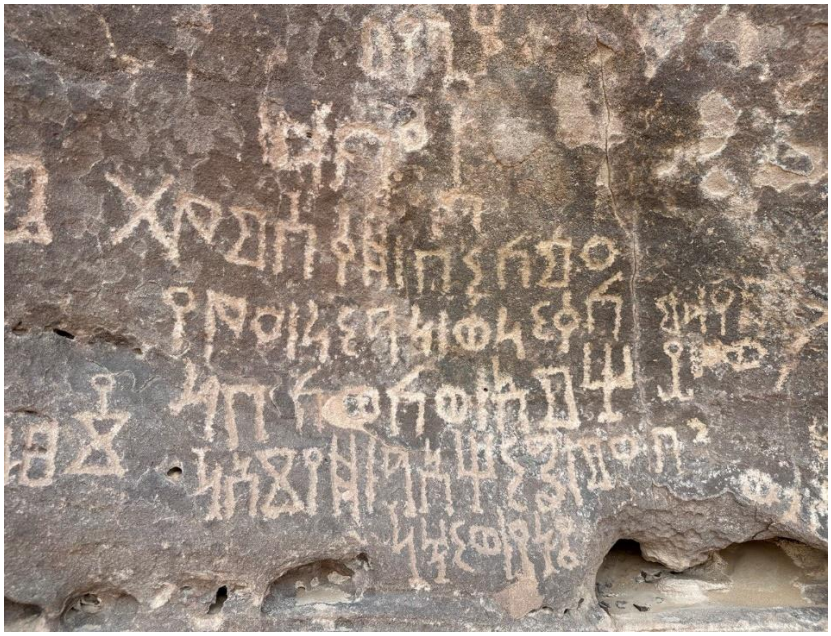

الشكل: ب

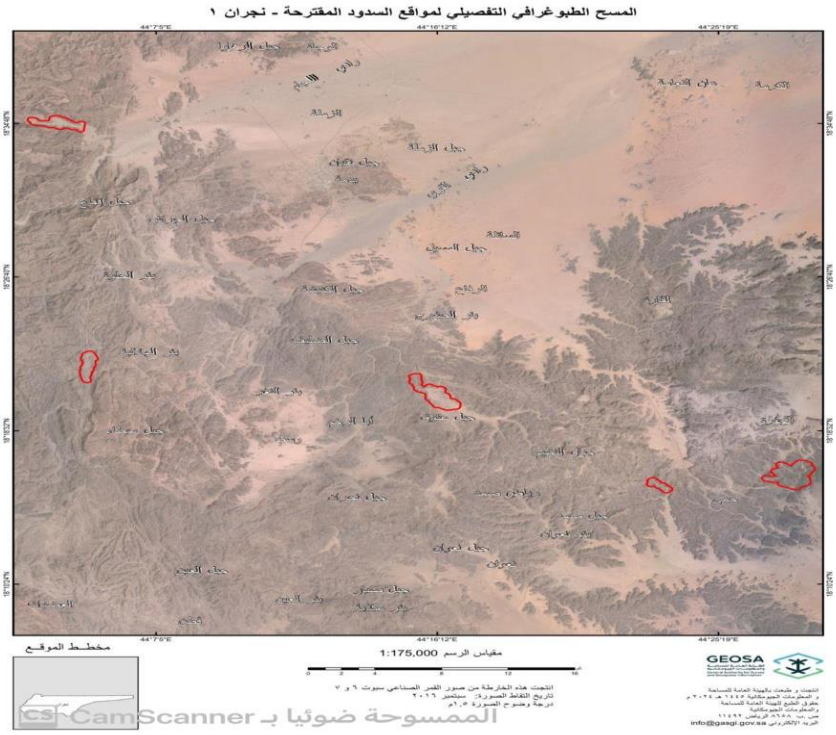

الشكل: ج (الهيئة العامة للمساحة والمعلومات الجيو مكانية)

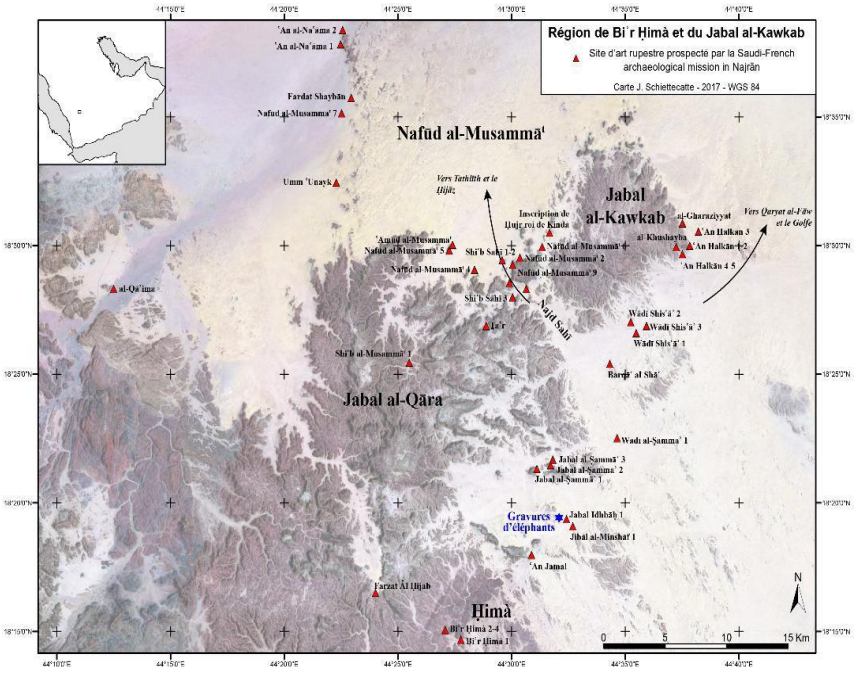

الشكل: د (البعثة الأثرية السعودية الفرنسية بنجران 2017م)

(18)

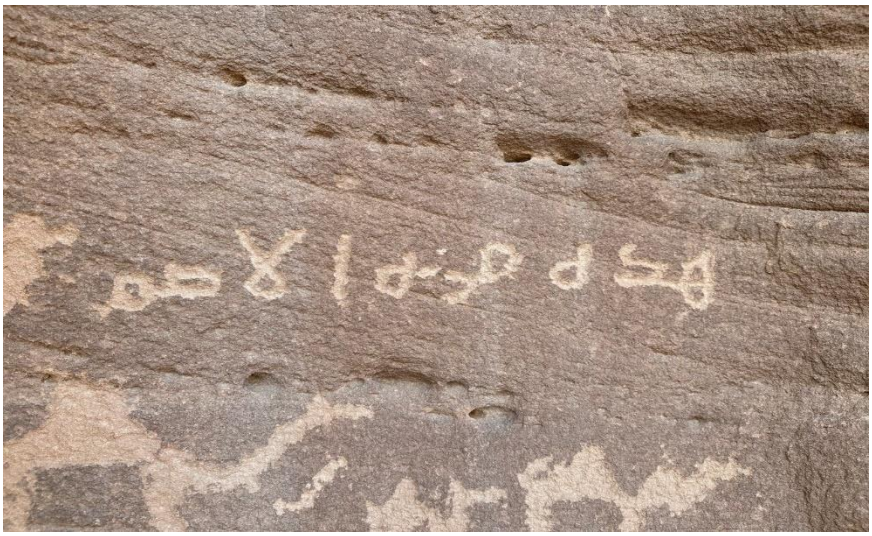

الشكل: هـ

الشكل: و

الشكل: ز

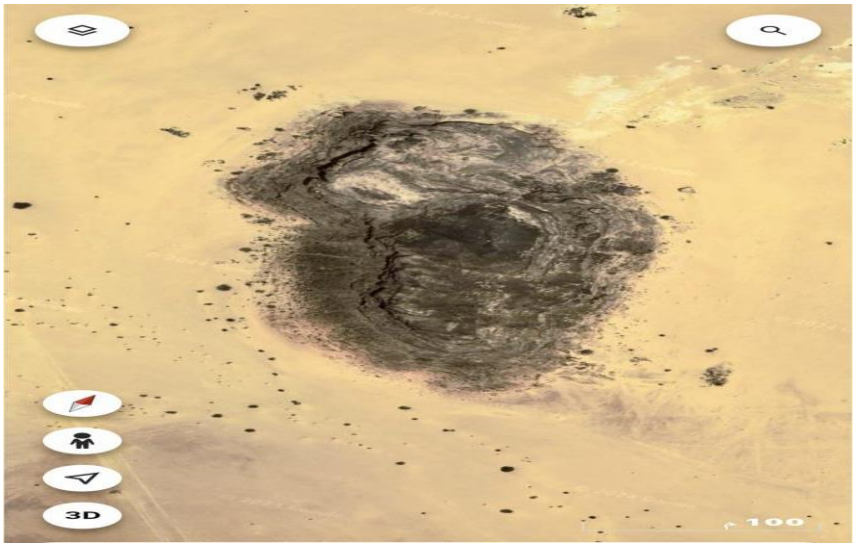

الشكل ح

الشكل: ط

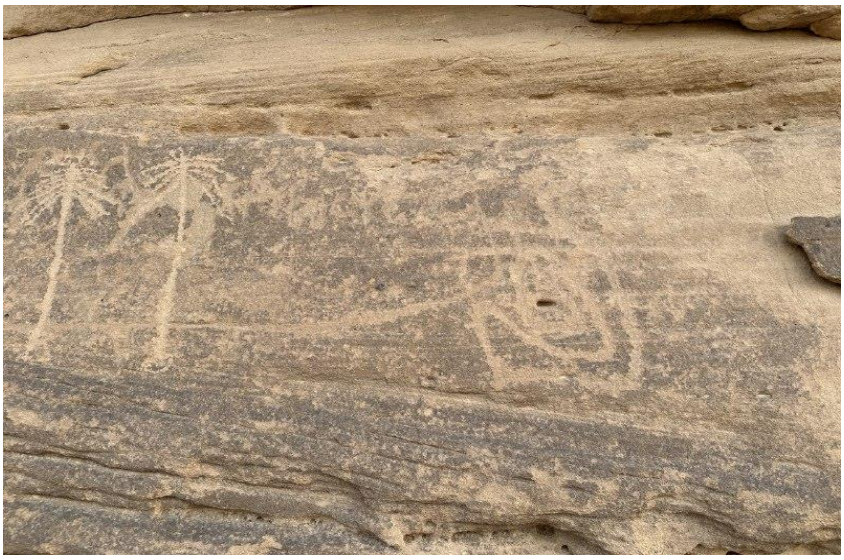

الشكل: ي

الشكل: ك

الشكل: ل

حواشي البحث:

[1] مطبوع رسمي بعنوان (سلسلة المواقع التراثية في المملكة العربية السعودية، المواقع التراثية في منطقة نجران)، الكتيب صادر عن هيئة التراث.
[2] الهمداني. الحسن بن أحمد بن يعقوب. صفة جزيرة العرب، الطبعة الأولى: ص266. صنعاء: مكتبة الإرشاد. تحقيق محمد علي الأكوع. 1990م.
[3] نفس المصدر أعلاه ص 228.
[4] نفس المصدر أعلاه ص 279
[5] العطاس. السيد الحبيب أحمد بن حسن. السفينة المجموعة في أنساب بعض القاطنين في حضرموت ومساكنهم. الطبعة الأولى. ص 149-150. حضرموت. دار حضرموت للدراسات والنشر. تحقيق محمد يسلم 2014م.
[6] مينوزا. تشيكوف مينوزا. نجران. ص١٢٢. باريس. سكوربيولإنتاج الأفلام.١٩٨٣م.
[7] الشريف. الدكتور عبد الرحمن صادق. جغرافية المملكة العربية السعودية إقليم جنوب غرب المملكة. الرياض. دار المريخ للنشر. 1984م.
[8] الحاج. محمد بن علي. نقوش مسندية من موقع الأخدود ٢٠١٨: ص ١٧:كرسي التراث الحضاري: جامعة الملك سعود.
[9] حولية الآثار العربية السعودية -أطلال- العدد السادس والعشرون (١٤٤٠هـ/2018م)- تصدر عن قطاع الآثار والمتاحف بالهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني-الرياض.
[10] جريس. أ. د. غيثان بن علي. منطقة نجران دراسات وإضافات وتعليقات. (من قبل الإسلام-ق 15هـ \ ق1-ق21م). الجزء الأول. الطبعة الأولى. الرياض. مطابع الحميضي.2019م.
[11] الذييب، سليمان بن عبد الرحمن، الحياة الاجتماعية قبل الميلاد في ضوء النقوش الثمودية في منطقة حائل، ص ٣١، الرياض، ١٤٣٨هـ.
[12] أبو الحسن، حسين بن علي دخيل الله، نقوش لحيانية من منطقة العلا: دراسة تحليلة مقارنة، ص ٢٣٢ و ص ٢٤٠، الرياض ١٤٢٣هـ.
[13] الهمداني. الحسن بن أحمد بن يعقوب. صفة جزيرة العرب، الطبعة الأولى: ص255. صنعاء: مكتبة الإرشاد. تحقيق محمد علي الأكوع. 1990م.
[14] نفس المصدر أعلاه. انظر تعليق المحقق محمد علي الأكوع. ص 168
[15] العطاس. السيد الحبيب أحمد بن حسن. السفينة المجموعة في أنساب بعض القاطنين في حضرموت ومساكنهم. الطبعة الأولى. ص 69. حضرموت. دار حضرموت للدراسات والنشر. تحقيق محمد يسلم 2014م.
[16] ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين بن محمد. لسان العرب ج:11-12:ص: 216. بيروت. دار صادر.2000م.
[17] ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين بن محمد. لسان العرب. ج:7-8: ص٢٨٥- 286 . بيروت. دار صادر.2000م.